مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255
المجلد8،العدد1 – مارس 2021
OEB Univ. Publish. Co.

آثار حياة الجيتو اليهودي والنصوص المقدسة في تشكيل و تثبيت العنصرية اليهودية

Impact of Ghetto Life and holy scriptures in enforcing Jewish Racism

د.عبد الوهاب العمري*، جامعة أم البواقي، الجزائر.
lamriabdelwaheb@gmail.com

تاريخ التسليم:(2020/10/30)، تاريخ المراجعة:(2020/12/30)،تاريخ القبول:(2021/01/23)

ملخص :

يكاد يجمع الباحثون الاجتماعيون والنفسانيون وعلماء التربية والسلوك أن البيئة لها دور كبير في تشكيل وتفعيل وصناعة استعدادات الإنسان نحو فكر وسلوك ما، وعلى إثرها تتشكل خلفيته في بناء تصوراته وأحكامه على الأشياء كما ترسم أشواقه وأحلامه وأفكاره، فتحدد معالم شخصيته وتكشف المخبوء من طباعه وردود أفعاله.انطلاقا من ذلك حاولت هذه الدراسة كشف اللثام عن الشخصية اليهودية العنصرية بناء على دراسة بيئته التي نشأ فيها والمتمثلة في "الجيتو"" اليهودي وما تلقاه سكانه من مبادئ وقيم من نصوصه المقدسة (التوراة والتلمود).

الكلمات المفتاحية: الجيتو اليهودي، النصوص المقدسة، العنصرية اليهودية.

Abstract :

Social researchers, psychologists, and educators, and behavioral scholars almost agree that the environment has a great role in shaping, activating, and making man's preparations for a, thought and behavior, and as a result, his background is formed in building his perceptions and judgments on things as well as drawing his desires, dreams and, ideas, thus defining the features of his personality and revealing the hidden from his character and reactions to his actions.

Based on that, this study attempted to unveil the racist Jewish character based on the study of his environment in which he grew up represented in the Jewish "ghetto" and the principles and values his residents received from his sacred texts (the Torah and Talmud)

Keywords : the Jewish ghetto, sacred texts, Jewish racism**,**

* المؤلف المراسل: د.عبد الوهاب العمري ،الإيميل: lamriabdelwaheb@gmail.com

مقدمة:

كثيرا ما نسمع أن الإنسان ابن بيئته، فالإنسان مفطور على حب الخير كما أنه مجبول على فعل الشر، ولكن من يرجح اختياراته وسلوكاته؟.

يكاد يجمع الباحثون الاجتماعيون والنفسانيون وعلماء التربية والسلوك أن البيئة لها دور كبير في تشكيل وتفعيل وصناعة استعدادات الإنسان نحو فكر وسلوك ما، وعلى إثرها تتشكل خلفيته في بناء تصوراته وأحكامه على الأشياء كما ترسم أشواقه وأحلامه وأفكاره ، فتحدد معالم شخصيته وتكشف المخبوء من طباعه وردود أفعاله.

انطلاقا من ذلك نحاول في هذه الدراسة كشف اللثام عن الشخصية اليهودية بناء على دراسة بيئته التي نشأ فيها مجسدة في "الجيتو"" اليهودي وما تلقاه من من مبادئ وقيم من نصوصه المقدسة (التوراة والتلمود) فإلى أي مدى عملت البيئة والنصوص المقدسة اليهودية في تشكيل سلوك العنصرية الذي يكرهه هو من غيره إلا أنه ملتصق به؟

للإجابة على ذلك، علينا نجيب على مجموعة من التساؤلات منها:

ما هو الجيتو اليهودي، وما بنيته ونظامه؟، كيف تعاملت الكنيسة والدول مع الجماعة اليهودية هل عزلتهم أم انعزلوا عنها؟ كيف غذت النصوص المقدسة بفعل الجيتو معاني العنصرية التي تحولت إلى ثقافة العنف وسلوك العنف باسم المقدس ؟

اتبعنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي به نصف الأشياء كما هي و نحللها إلى عناصرها الأولية حتى نتمكن من رؤية السلوكات وردود الأفعال رؤية موضوعية بعيدة عن تلفيق الاتهامات الفردية والجماعية والتي هي الأخرى شكلا من أشكال العنصرية، وكما قيل: إذا عرف السبب بطل العجب. ومن ثم تتحدد لنا منهجية التعامل مع مثل هذه السلوكات والشخصيات وفق رؤية واضحة.

2. حياة الجيتو وآثرها على اليهود وغيرهمٍ

العنوان الفرعي الأول تعريف "الجيتو"Ghetto :

الجيتو ghétto : قيل أن الكلمة اشتقت من الإيطالية GHETTO أي " مسكب المدافع" إشارة إلى الحي المجاور لهذا المسكب الذي كان يسكنه اليهود. وقيل أنها مشتقة من كلمة :Judaca أي مكان سكن اليهود،أو من الكلمة العبيرية " جت " الواردة في التلمود بمعنى " الانفصال."(الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، 1988، ص23)

ويعرف عبد الوهاب المسيري كلمة "الجيتو Ghetto " بقوله:(هو الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية. ولكن التسمية أصبحت مرتبطة أساساً بأحياء اليهود في أوربا. وللكلمة معنيان: عام وخاص. يعني الجيتو بالمعنى العام أي مكان يعيش فيه فقراء اليهود دون قسر من جانب الدولة، **أو حي** اليهود بشكل عام. ويعود تاريخ هذه الجيتوات إلى الإمبراطورية اليونانية والرومانية. أما الجيتو بالمعنى الخاص الذي أصبح شائعاً، فيعني المكان الذي يُفرَض على اليهود أن يعيشوا فيه، وقد استُخدمت الكلمة

بهذا المعنى للإشارة إلى جيتو البندقية (عام 1516). وأصل الكلمة غير معروف على وجه الدقة، فيُقال إنها حي اليهود في البندقية نسبة إلى "فلجيتو Villgetto" أو "مصنع المدافع" الذي أقيم بجواره. ويُقال أيضاً إن الكلمة مشتقة من الكلمة الألمانية "جهكتر أورت Geheckter Ort" التي تعني "المكان المحاط بالأسوار"، أو هي من الكلمة العبرية "جت" أو "جيط" بمعنى "الانفصال" أو "الطلاق" الواردة في التلمود. وربما كان أكثر الافتراضات قرباً من الواقع هو ذلك الذي يعود بالكلمة إلى لفظة "بورجيتو" الإيطالية التي تعني القسم الصغير من المدينة، أي أن كلمتي "جيتو" و"بورجوازية" مشتقتان من أصل واحد. ومن أسماء الجيتو الأخرى في ألمانيا: "يودين شتراس Judenstrasse" أي "شارع اليهود"، أو "يودين جاسي Judengasse" أو "جاسي Gasse" فقط، أي "حارة اليهود"، أو "يودين فيرتيل Judenviertel"، أي "حي اليهود". وفي البرتغال سُمِّي الجيتو "جودياريا Judiaria" وفي فرنسا سُمِّي "جويفيري Juiverie"، وفي إيطاليا سُمِّي "جيديكا Guidecca"، وسُمِّي بالإنجليزية "جوري Jewry". وكلها كلمات تصف اليهود باعتبارهم كتلة متماسكة."(المسيري: الجماعات الوظيفية اليهودية نموذج تفسيري جديد، 2002، ص 111– 112، انظر أيضا الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، 1986، ص 17، انظر أيضا حداد: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، 2004، ج1، ص 278 وما بعدها.)

2.2 موقف الكنيسة وقساوستها من "الجيتو" اليهودي

مهما يكن من اختلاف حول أصل كلمة "الجيتو" فالمهم مدلولها ومحتواها، الذي لا يكاد يُذكر إلا ويثير في النفسية والمخيال اليهودي، معاني الغربة، والإقصاء، والذّلة، والعبودية والشعور باضطهاد الآخر المسيحي الغربي له. كما أنه في الوقت نفسه يثير في نفسية الغربي كل معاني الاشمئزاز والقذارة والحقارة والخيانة والشيطنة تجاه اليهودي، ذلك أن همّ الكنيسة وقساوستها، من البابا إلى آخر قسيس، كان فصل المسيحيين عن اليهود فصلا تاما، و(يحملون على كل من تعامل مع اليهود من رعيتهم تعاملا سافرا. كما أن المجالس البلدية كانت تحذو حذو مجلس " رافينا" في إيطاليا حيث قرر سنة 1317م :"أنه بالرغم من سماح الكنيسة لليهود بالبقاء في الديار المسيحية، يجب ألا يسمح لهم (أي اليهود) بأن يؤذوا المسيحيين. ذلك لأنهم يردّون الحسنة بالسيئة والصداقة بالاحتقار والعداء. ولهذا، وبما أن فضائح عديدة حصلت بسبب تمازج اليهود بالمسيحيين فإن المجلس الخاص بهذه المقاطعة والمجتمع قرر أن على رجال اليهود وضع دائرة من القماش الأصفر على ظهورهم، وعلى نسائهم وضعها على رؤوسهن، كي يتسنى للكل تمييزهم عن المسيحيين"(الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، 1988، ص 23.) بهذه الصورة البشعة طرد المسيحيون اليهود من الدائرة الاجتماعية وحكموا عليهم بالمعيشة الانعزالية قهرا، وأنزلوهم في إقامة جبرية جماعية باسم القانون. كانوا يكرهونهم كرها شديدا، باسم كل الشعوب والأجناس والطوائف، وعلى حد تعبير "الأب بولس حنا مسعد" الذي قال عنهم: (فالعالم لم يكره أبناء إسرائيل إلا لسوء أخلاقهم وفساد آدابهم وخَتلِهم ودهائهم وحبّهم للدسائس والمراوغات. قال عنهم مفكر:" كلما أطلتُ

درس أطوارهم تبَلَّجَت لي من ختلهم ودهائهم مشاكل جديدة"،فهم على الشعوب وباء روحي، أسوأ أثرا من الموت الأسود."(حنا مسعد: همجية التعاليم الصهيونية، 1983، ص 65- 74)

وهذا ما يفسر ردّة فعل البابا بولس الرابع(1550-1559)، حيث أصدر نشرة بابوية في عام 1555م، تأمر بعزل اليهود إجباريا. لذا في 26 يوليو1555م رُحِّل اليهود من روما، إلى الحي الجديد- حي التعاسة والمهانة -، الواقع على الضفة الشمالية من نهر التيبر، حيث أحيط على الفور بسور لعزلهم عن المدينة، ثم عمّ قرار العزل كل المدن الواقعة تحت سيطرة البابا، واعتبارا من سنة 1562 أُطلق رسميا على هذا الحي الجديد في البندقية اسم " الجيتو"(الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، 1986، ص18.)

وفي مطلع القرن السادس عشر اندفعت مدن أوربا الواحدة تلو الأخرى، إلى سن قوانين تفرض على اليهود السكن في الجيتو حتى عمّ الأمر كل القارة الأوربية (المسيري: موسوعة اليهود واليهودية و الصهيونية،1999،ص 290)

بمنع اختلاط اليهود بالمسيحيين يوما بعد يوم، زادت الشبهات تجاه اليهود، خاصة أنهم كانوا متفوقين في علوم الطب، والجراحة و الكيمياء ...، بسبب اتصالهم بالعرب ونقلهم هذه العلوم عنهم، فاعتبرهم المسيحيون سحرة ومشعوذين، فتأكد ما نقله لاهوتيو الكنيسة من أن اليهود إخوان الشياطين مثبت بالفعل.(الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، 1988، ص 26).

ومما يؤكد هذا المعنى ويبين الأسباب الحقيقية التي جعلت الكنيسة تعزل اليهود في الجيتو إجباريا، رغم أنهم عزلوا أنفسهم اختياريا، "يرجع إلى حجة لاهوتية تمنطق بها المسيحيون في اضطهادهم لليهود كعنصر من العناصر المكونة للدراما اللاهوتية المسيحية، أي أن اليهود هم الذين قاموا بصلب المسيح وقتله، ثم برفضه كمخلص للبشر.(...) ولهذا اعتقد المسيحيون، أنه لابد لليهود من العذاب في الدنيا، جزاء لهم على عنادهم. ولكن المسيحيين الغربيين، لم يكونوا يفرحون بدخول اليهود في دينهم. فهم أرادوا لهم البقاء كيهود معذبين في الأرض، ليكونوا مثلا وتحقيقا لخسران الراغبين عن المسيح و دينه. (الفاروقي:الملل المعاصرة في الدين اليهودي، 1988، ص 25-26. المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، 1999، ص 288-294).

هذا سرُّ محافظة قساوسة الكنيسة على اليهود أحياء ولكن أذلاّء، إذ كان بمقدورهم القضاء على الجنس اليهودي برمته. ففي روما مثلا، كان السكان اليهود يقعون في عهدة البابا بالذات، يحافظ عليهم ويرعاهم برعايته، كي يكونوا مثلا حيًّا للشرّ الذي جاء المسيح ليخلص البشر منه، وكأنهم إخوانٌ للشياطين على الأرض في معرض دائم للبشر أجمع."(صابر طعيمة: بنو اسرائيل في ميزان القرآن الكريم، 1990، ص 286)

حافظوا على اليهود لا حبا ورغبة فيهم، ولكن لبيان صدق المسيح -عليه السلام-،كما تفعل مخابر اللقاح التي تحتفظ بالفيروسات والجراثيم لا حبّا فيها، ولكن حبّا في عائدات اللقاحات المضادة لها التي

تنتجها. ومن ثم فقد رسخ في عقول ووجدان المسيحيين كراهية اليهود، والحقد عليهم، ولهذا السبب في عام 1890م، صرح القيصر " ألكسندر الثالث" (Alexander III) بقوله: "نحن لا ننسى أبدا أن اليهود قتلوا سيدنا، وفرقوا دمه المقدس."(صبري: الجيتو اليهودي دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، 1999،ص 100.)

3. الجتو بين المبنى والمعنى:

لم يكن الجيتو منتجعا سياحيا، وإنما هو مكان داخل المدينة أو خارجها محاط بسور عال له بوابة (أو أكثر) تُغلَق عادةً في المساء(صبري: الجيتو اليهودي دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، 1999،ص15 . وانظر أيضا الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، 1986، ص9–16 وما بعدها). وكان من غير المصرَّح به لأعضاء الجماعات اليهودية، في بعض المراحل التاريخية ببعض الدول، أن يظهروا خارج الجيتو في يوم الأحد أو في أيام أعياد المسيحيين. وكان الجيتو بأسواره العالية يهدف إلى عدة أشياء متناقضة، منها: حماية اليهود كجماعة وظيفية وسيطة، وسهولة تحصيل الضرائب منهم، ومراقبتهم وعزلهم وفصلهم عن الأغلبية المسيحية. كما كان يضمن ألا يهرب أعضاء الجماعة إلى بلد آخر، فقد كانوا مادة استعمالية وأداة إنتاج وإدارة يستفيد الإمبراطور أو الحاكم من وجودها.(المسيري: موسوعة اليهود واليهودية و الصهيونية، 1999، ص 117.)

هذا من الناحية الشكلية الظاهرية، أما من الناحية الداخلية، والتي كان لها كبير الأثر على الجوانب النفسية والاجتماعية، فقد كان الجيتو في معظم الحالات يقع في أوسع وأردأ البقاع، ولم يكن له منفذ للتوسع، رغم ازدياد السكان القاطنين فيه، لذلك كان الجيتو في كل مكان غاصا بالسكان مما يسهل انتقال العدوى والأوبئة، وإقامة اليهود الإجبارية فيه، ومنع الاتصال بالمحيط المسيحي، سهل انتشار أسوأ الأفكار والانطباعات عن اليهود و حياتهم. لم يكن الجيتو معقل الأوساخ والقاذورات المادية فحسب، بل العيوب النفسية والاجتماعية. فكان مركز المومسات وبؤرة الفساد والدسيسة ومقر المتعاملين بالربا...(الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، 1988، ص 23.) لذلك لم يكن اليهود ليتأثروا بالحركات الفكرية والسياسية والعلمية والفنية التي ازدهرت في المجتمعات الأوربية حولهم لأنهم كانوا يعيشون ويفكرون داخل الصندوق، صندوق الجيتو.

والذي يدقق النظر في هذا الميّز العنصري، وهذا التعامل الفظ والغليظ، يجده قد ولّد عند اليهودي حاسة الانطواء على الذات، وروح الانتقام والعدوانية، والذي تجسد بكل وحشية في الجدار العازل الذي بنته وتبنيه الصهيونية على الأراضي فلسطينية هذه الأيام، لعزل الفلسطينيين وإذاقتهم طعم الجيتو على أوسع نطاق، على شعب بأكمله.

كانت ثقافة أهل الجيتو جد ضحلة فقد ترك الانحطاط الاقتصادي والمعماري للجيتو أثراً عميقاً في وجدان يهود شرق أوربا ووسطها القاطنين فيه، وعمَّق انفصالهم عن العالم الخارجي. وقَدِم عصر النهضة

وعصر الإصلاح الديني، ثم عصر الاستنارة في أوربا، واليهود داخل أسوار الجيتو، الاقتصادية والوجدانية، فكان معظم أعضاء الجماعات اليهودية من يهود شرق أوربا، معزولين عن الثقافة العامة، لا يدرسون إلا التوراة والتلمود والمدراش، ولا يقتربون البتة من تاريخ الأغيار(الآخر)، إذ كان كل ما يعنيهم هو تاريخ اليهود كما جاء في كتب اليهود المقدَّسة (المسيري: موسوعة اليهود واليهودية و الصهيونية، 1999، ص 294. صبري: الجيتو اليهودي دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، 1999،ص40–52)، بل وصلت حالة الانفصال عن المجتمع حدّ العتمة، فلم يتعلم اليهود لغات المجتمعات التي كانوا يسكنون فيها، وإن تصادف وعرفوا إحدى هذه اللغات، بحكم وجودهم الفعلي في البلد، فإنهم كانوا يجهلون التراث الثقافي لهذا البلد.وعليه استحدثوا في الجيتو لغة خاصة بهم (ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، 1999، ص 102–103)، هي عبارة عن مزيج وخليط من العبرية والألمانية والبولندية والروسية وغيرها فكانت تسمى " اليدشية) "Yiddishالشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، 1986،ص 11)، هذا عند اليهود الغربيين"الإشكناز"، أما السفارديم، وهم اليهود النازحين من الأندلس وشرق أوربا، فكانت لغتهم في الجيتو تعرف بلغة اللادينو (Ladino، وهي خليط من العبرية والإسبانية.(حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، 1999،ص 202–204 .الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، 1988، ص 25)

نظام الجيتو:

كان النظام الاجتماعي السائد في القرون الوسطى هو نظام الأسر(الأسر المالكة)، وكانت مكانة الفرد فيه بمكانة أسرته شريفا كان أو وضيعا، وكانت للأسرة الأوروبية سلطة فعلية على الفرد إذ لابد من الرجوع إليها في أي حق من حقوقه. وكان النظام الأسري مرتبطا ارتباطا وثيقا بالكنيسة، فالأسرة تحصل على هويتها وهوية أفرادها من الكنيسة. فهي القائمة على التعميد و التزويج والتثبيت، ودون هذه المراسم لا وجود لأي أسرة في الواقع الاجتماعي.

أما اليهودي فلم يكن معنيا بهذا النظام ، وبما أنه لابد له من نظام يعيش به وفيه ، أملت الحاجة على المسيحيين أن يعترفوا بالنظام المللي – نسبة إلى الملة – ، والقائم على اعتبار اليهود كلهم في منطقة من المناطق كأسرة أو قبيلة واحدة (ملة واحدة)، وحصر السلطة والحقوق في رئيس أو مجلس يتولى إدارة أمورها، ويمثلها لدى القضاء و سلطات البلاد ، فكان الحاخام أو مجلس الربابنة المسمى " بيت الدين "،يأمر اليهود ويحكم ويحاكم ويسجن ويقتل ويجازي باسم ملك البلاد، فقامت حياة الجيتو كلّها، من مأكل ومشرب، ومعاملة وأخلاق، وحياة وممات، على القانون– أي التوراة – مقيدة على كل مستوى. فكانت منظمة الشعب اليهودي هي التي تتولى شؤون التعليم وتصرف عليه، وشؤون العبادة فتعين الحاخامين والمفتشين، وشؤون الأمن والنظام داخل جدران الجيتو. فهي التي كانت تجبي الضرائب من اليهود لا للأمور الداخلية والخاصة فحسب، بل للدولة، إذ كانت حكومة الملك أو الأمير، تفرض الضريبة على الشعب برمته، وكان للمنظمة اليهودية شأن توزيعها وجبايتها، فهذه المنظمة العامة للشعب اليهودي في

منطقة ما، كانت هي المنظمة الأولية التي تخضع لها، أو تتفرع عنها جميع المنظمات اليهودية الأخرى.(الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، 1988، ص 27-28)

ومن هنا أنقذ نظام "الملل" الجماعة اليهودية، وأصبح فتحا عظيما وحلاً لمشكلة الكيان اليهودي في أوربا. فالسلطة الآبائية التي كان يتمتع بها رئيس الأسرة في القانون الروماني، وضعت بموجب هذا النظام في الشعب اليهودي كشعب، وتركوا له أمر تنظيم نفسه.(ماضى: الدين والسياسة في إسرائيل، 1999، ص 102-103)

2.3 اليهود بين العزلة والانعزال:

الانعزال هو اختيار العزلة طواعية، دون قهر ولا إكراه، كقولك:"اعتزل اللاعب الفلاني عن اللعب". أما العزل فهو إكراه الآخر، وعزله جبرا، سواء عن رتبة أو محيط، كقولك:" عزل الطبيب المريض في غرفة العزل الصحي، حتى لا يُعدي الآخرين."

والمعنى الثاني أي العَزلُ هو ما فعلته الكنيسة باليهود، إذ عزلتهم كالمصاب بمرض معدي فتّاك، في مكان العزل المرضي بدل الصحي وهو الجيتو.

والدارس لظاهرة الانعزال والعزل اليهودي، يجد أن وراءهما فكرة دينية بحتة الأولى يهودية والثانية مسيحية:

فاليهود قبل عام 1555م اختاروا العزلة الطواعية باسم تعاليم التلمود، فالعزلة اليهودية كانت قائمة على مر العصور لأسباب دينية وطقسية، جاء في دائرة المعارف العبرية ما يلي:

" إن واقع وطابع حياة اليهود دفع بهم دائما إلى التجمع والإقامة سويا في شارع واحد، أو في حي واحد للمحافظة على الشرائع الدينية " المنيان"، والمقابر والمطهر (بركة التطهير)، والمساعدة المتبادلة للأقلية المضطَهَدة والمهَانة، وانعدام الأمن لديهم كغرباء ومكروهين، جعلتهم ينضمون سويا ويخلقون شوارع أو أحياء لليهود في كل البلدان الأوروبية. "وهكذا فإن البناء الحضاري للجيتو زاد من هذه العزلة.(الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، 1986، ص17.صبري: الجيتو اليهودي دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، 1999،ص 39-51.)

مما تجدر الإشارة إليه أن التأكيد على حياة العزلة، كانت له بعض الآثار على الواقع اليهودي "الجيتوي" منها:

منع الكنيسة اليهود من التوسع في مساحة الأحياء اليهودية ، اضطرهم إلى التوسع الرأسي بزيادة طوابق لا تحتملها المباني الآيلة للسقوط، وازدادت الكثافة السكانية، وضاق المكان بأهله، وانحط مستوى المعيشة، وتفشت الأمراض، وتراكمت القاذورات بأنواعها المادية والنفسية، والاجتماعية، مما ترك أثرا عميقا على وجدان اليهود القاطنين – بالجيتو–، بل وعمّق من انفصالهم عن العالم الخارجي، وانحصارهم داخل عالم يتصورون أن كل ما فيه يهودي خالص.(شلبي: مقارنة الأديان– اليهودية، 1967،ص 42. الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، 1986، ص 18-19)

انعدام الإحساس بالأمن لدى اليهودي خارج أسوار الجيتو لوجود المسيحي الحارس والكاتم على الأنفاس، يراقب الداخل والخارج عند بوابة الجيتو، فتعمقت ثقافة وحاسة الكره بين الطرفين فلا يرى أحدهما الآخر إلا شريرا، وقد وصف هذا الحال الباحث ف.لوفسكي(F.Lovsky)وهو يبرر التعامل المسيحي بقوله:" إن الاضطهاد المسيحي لليهود لم يكن منشؤه التعاليم المسيحية ، ولكنه القانون الوضعي الذي حط من قدر اليهود، وضاعف من الظلم والهوان الذي وقع عليهم، وجعل المسيحي واليهودي عدوَّين لدودين، ينبغي أن يوضع بينهما حدّ فاصل في علاقاتهما الاجتماعية ، لذلك فرض المسيحيون الجيتو على اليهود، ليكون قفصا وسجناً يعزلهم عن باقي المجتمع."
(F.Lovsky: Antisémitisme et Mystere D'Israel, ,1953,p.239)

أنظر التفصيل أيضا

(Léon Poliakov, Les Banquiers juifs et le Saint-Siège : du XIIIe au XVIIe siècle, Paris, Calmann Levy, 2014 (rééd.), chap. XI (« Les Juifs et l'évolution des sensibilités chrétiennes (Rome)
(Kenneth Bancroft Clark, Dark ghetto : dilemmas of social power, Wesleyan University Press, 1989)

فصار اليهودي يشعر بأن عالم ما وراء أسوار الجيتو، عالما غريبا ، معادٍ وشرير، أما داخل الأسوار فكان يجد الأمن والطمأنينة، والثقة والإيمان العميق بأنه ينتمي إلى الأمة المقدسة والشعب المختار. يقول أحد أحبار اليهود:"إن الفرق بين اليهودي وغيره كالفرق بين الماس والملح، ضع أي "جوييم" –(الآخر غير اليهودي)– في أي مجتمع فسرعان ما يذوب ولا ينصهر، بل ينسج حول ذاته غلافا شفافا من فولاذ، منسوجاً من إيمانه وتقاليده وعاداته." ويستطرد قائلا:" لقد نجحنا في إيجاد الجيتو، وجعلنا الجوييم يعتقدون أننا أصبحنا أسرى له...بينما الحقيقة، أن الجيتو كان بمثابة قلعتنا التي بها نحتمي، ونمارس داخلها كل شرائعنا، ونتمرّن على ممارسة فن الحكم، حتى إذا جاء اليوم الموعود قفزنا من خارجه للاستيلاء على السلطة."(صبري: الجيتو اليهودي دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، 1999،ص 46)

ومن هنا اتفقت رؤية الطرفين على أمر واحد، مفاده:" كما تراني أراك "، أي أن المسيحي لا يشعر بالاطمئنان إلا إذا رأى اليهودي داخل أسوار الجيتو، كما أن اليهودي لا يشعر بالاطمئنان كذلك إلا داخلها. ومن ثم تعمقت الفجوة بين الطرفين، وتحول الجيتو بالنسبة لليهودي إلى محمية العقيدة والشخصية من الانهيار و الذوبان في المجتمع الغربي، ذلك أن حياة اليهود مع بعضهم بعضا، ضمن جدران الجيتو، وتعرضهم للمصير الواحد المشترك، زكى فيهم شعلة تضامن، كانت ولا تزال من أقوى وأوثق العرى التي عرفها الإنسان، لا تفصم حتى بالموت. فقد أدى الجيتو إلى نشوء وعي جماعي بين اليهود، انحصر في امتثال اليهودي لرؤسائه وتوليته لشعبه أجلّ الولاء، و محافظته على القانون– أي التوراة – وتحقيق الواجبات المنبثقة عنها.(الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، 1988، ص 27. الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، 1986، ص 18)

إن دراسات علم النفس وعلم النفس الاجتماعي.. تؤكد أن الجماعة التي تتوحد حول فكرة أو كيان، كلما تعرضت لضربات خارجية، تزيد قوتها وتماسكها ووحدتها والتفافها حول ذاتها، أما إن كانت الضربات من الداخل، فهذا ما يؤدي – عموما – لانفجارها الداخلي، وتشتتها وانقسامها على نفسها(فرايري: تعليم المقهورين، 1980، ص 93). لذا نجد أن الحاخامات استثمروا شعور كره الآخر لهم، واغتنموا الفرصة وحولوه إلى المبالغة في حب الذات، – ورفع سعرها وسقفها–، مما نمّى شعور العنصرية لديهم، للرد على عنصرية المسيحي، فصار اليهودي ينظر للآخر – المسيحي– على أنه " جويم "غوغائي لا يستحق الحياة، وعلى اليهود أن ينعزلوا عن بقية الشعوب، ليحموا أنفسهم و يصونوا جنسهم النقي من الاختلاط بالغوغاء والحشرات والأشرار والسوقة، من باقي شعوب العالم الفاني ،الذين ما خلقوا على هيئة الإنسان إلا ليكونوا خداما وعبيدا لبيت إسرائيل ونسله."(إبراهيم خليل: إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة ،1969، ص154–156. الشرقاوي: الكنز المرصود في فضائح التلمود، 1993، ص 79 وما بعدها. وانظر أيضا ماضى: الدين والسياسة في إسرائيل، 1999، ص103) فالجيتو إذن هو أكبر وأهم العوامل التي أدت إلى الحفاظ على كيانه وتراثه وعلى "القانون"(الشريعة) وبالتالي على يهوديته. ولم يكن لليهودي اختيار آخر. فإما أن ينتصر أو يعرض نفسه للقتل و السبي والنهب، وإما أن يطيع أوامر الحاخام، ويمتثل لإرادة الشعب اليهودي، المتجسدة في التوراة وتعاليمها، كما يرويها له الحاخام، ويحكم بها له أو عليه. فلم يكن للفرد اليهودي أي حق، في تحويل أو تبديل أو تأويل القانون، أو استئناف ما يحكم به " بيت الدين" عليه، إذ كانت تقاريره " "Takkanothتطبق على الجميع دون تراجع عنها لأي كان.(الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، 1988، ص 29. صبري: الجيتو اليهودي دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي،1999 ، ص 50–51)

لقد كانت حياة الجيتو على حد تعبير البعض " دولة داخل دولة "، وقد يحدث أن يعيش اليهودي حياته كلها، دون أن تطأ قدماه الأرض الواقعة على حدود الجيتو، نتيجة التشبع والاكتفاء الذاتي الذي يتمتع به داخل الجيتو(خليفة حسن:الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقاتها بالتراث الديني اليهودي، 1981، ص 29.)، لذا نجد من الباحثين من يرى أن حياة الجيتو كانت نعمة وليست نقمة، فلولاها لذاب اليهودي في محيطه الاجتماعي، وهذا ما اعترف به –الساعد الأيمن لهرتزل ومهندس صياغة مؤتمر بازل– ماكس نوردو((1923 –1849)(Max Nordau، وهو يصف إيجابيات حياة الجيتو وبركاتها على اليهود أفرادا وجماعات، فيقول:" إن اليهودي حرص على عزل نفسه، فكان إذا لم تضعه السلطات في مكان منعزل، تراه يبني لنفسه منطقة منعزلة من تلقاء نفسه، يسكن فيها بمفرده دون أن يختلط مع المسيحيين (الجويم)، إلا في أمور العمل، وبالرغم من أن كلمة "حارة اليهود" أو منطقة الانعزال، تُعتبر اليوم وصمة عار واحتقار، لكن علماء النفس والقومية والتاريخ، يعترفون أن مناطق العزلة كانت لليهودي في الماضي بمثابة ملجأ وليس سجنا." و يستطرد قائلا: "إنها لحقيقة تاريخية أن مناطق الانعزال اليهودية هي التي أعطت اليهودي الفرصة للنجاة من الاضطهاد الذي قام في العصور الوسطى، وكانت حياة

اليهود خارج الجيتو غير آمنة ومعرضة للخطر غالبا، أما في الداخل فكانت حياة متكاملة، لا ينقصهم من عناصر الحياة الاجتماعية شيء، فعرفوا أهمية المنطقة المنعزلة بالنسبة لحياتهم الخاصة، وفي مناطق الانعزال كانت للصفات اليهودية قيمتها الخاصة، التي يحصل الانسان بواسطتها على أعلى درجة من الإعجاب الذي يشكل أقوى حافز للروح الإنسانية، وكان الواحد منهم يحاول أن ينال احترام إخوانه، لذا حرص اليهود في الجيتو على أن يشيدوا حول أنفسهم أسوارا غير مرئية، تكون أعلى وأمنع من الأسوار المبنية من الحجارة التي أحاطت بهم، وكانت كل العادات والتقاليد اليهودية تهدف إلى شيء واحد وهو، الحفاظ على اليهودية، وذلك بعدم الاختلاط "بالجويم" من أجل الحفاظ على المجتمع اليهودي."(صبري: الجيتو اليهودي دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، 1999،ص 48).

ومما تجدر الإشارة إليه أن التاريخ سجل للمسلمين صفحات بيضاء في التعامل مع اليهود، ذلك أن الذين عاشوا منهم بين المسلمين، عاشوا دون قيود اجتماعية، فلم تُفرض عليهم حياة الجيتو بأي شكل من الأشكال، ورغم ذلك فقد اختاروا أن يكونوا في البيئة الإسلامية في جيتو سميك البنيان والجدران، وهذا باعتراف المؤرخين ورجالات الدين المسيحي أنفسهم، من أمثال المؤرخ ورجل دين الكنيسة المكلف بالصداقة مع اليهود، "جيمس باركس"((1896 – 1981 James Parkes الذي صرح قائلا: "إن الإسلام لم يقم أي حاجز أو عائق أمام حرية اليهود الاجتماعية والاقتصادية، وإن المسلمين لم يفرضوا على اليهود جيتو إجباريا ، ولكن اليهود في أغلب الأحيان كانوا يعيشون في أحياء خاصة بهم، وكانت هذه الأحياء تعتبر قلاعا حقيقية، من حيث قوة حوائطها وحصونها، وذلك لحرصهم الشديد على الاحتفاظ باستقلالهم الذاتي والتمسك بالتقاليد اليهودية."(صبري: الجيتو اليهودي دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، 1999،ص 49–50) وهذا مصداق لقوله تعالى:"لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ." [سورة الحشر:14] .

4. التنشئة الاجتماعية للجيتو وأثرها في تثبيت العنصرية في الشخصية اليهودية:

حياة الجيتو على ما فصلنا آنفا أكيد أن له آثار نفسية وفكرية على الشخصية اليهودية، فكيف ثبتت وفعّلت هذه التأثيرات معاني العنصرية وصبغت بها الشخصية اليهودية؟

لو طبقنا المنهج التحليلي النفسي والفكري على نصوص العهد القديم والتلمود لوجدناهما مليئان بمعاني الكره للجويم لدرجة استباحة دمه وأمواله وأرضه بل وحياته من جميع النواحي ولا أدل على ذلك ما حدث لموسى عند الخروج في أكبر سرقة عالمية [سفر الخروج 11: 2– 3 ، سفر الخروج 12: 35– 37]، وكما حدث في سفر يشوع للمذبحة الجماعية لسكان مدينة "أريحا"، دون استثناء للنساء والشيوخ والأطفال، ولا حتى الحيوانات، تطبيقا لأوامر الربّ ، كما جاء في[تثنية 1:1–3]:" ١مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبْعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، ٢وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ،

وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، ٣وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ."وهذا ما حدث بالفعل طوال قرن من الزمان في فلسطين ولبنان، من مذبحة قانا إلى دير ياسين، إلى جنين إلى الخليل في الجامع الابراهيمي والناس يصلون، إلى عزة إلى... والقائمة تطول.

ومن النصوص التي تدعو إلى حروب الإبادة الشاملة للآخر، قوله:" ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ وَأَخَذَ حَاصُورَ وَضَرَبَ مَلِكَهَا بِالسَّيْفِ، لأَنَّ حَاصُورَ كَانَتْ قَبْلاً رَأْسَ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَمَالِكِ. ١١وَضَرَبُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمُوهُمْ، وَلَمْ تَبْقَ نَسَمَةٌ، وَأَحْرَقَ حَاصُورَ بِالنَّارِ. ١٢فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مُدُنِ أُولئِكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعَ مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمَهُمْ كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ. ١٣غَيْرَ أَنَّ الْمُدُنَ الْقَائِمَةَ عَلَى تِلاَلِهَا لَمْ يُحْرِقْهَا إِسْرَائِيلُ، مَا عَدَا حَاصُورَ وَحْدَهَا أَحْرَقَهَا يَشُوعُ. ١٤وَكُلُّ غَنِيمَةِ تِلْكَ الْمُدُنِ وَالْبَهَائِمَ نَهَبَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لأَنْفُسِهِمْ. وَأَمَّا الرِّجَالُ فَضَرَبُوهُمْ جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى أَبَادُوهُمْ. لَمْ يُبْقُوا نَسَمَةً. ١٥كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى عَبْدَهُ هكَذَا أَمَرَ مُوسَى يَشُوعَ، وَهكَذَا فَعَلَ يَشُوعُ. لَمْ يُهْمِلْ شَيْئًا مِنْ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ مُوسَى." [سفر يشوع 11: 10 – 15] .

ومن الوصايا التي ينسبونها للربّ، أن رحمته لا تنزل عليهم إلا بكثرة القتل والذبح والحرق لأعدائهم،[سفر التثنية 13: 15– 18]. وحتى الضعفاء كالأطفال والحوامل، لا يَسلمون من الإبادة في الكتاب المقدس، لا حقوق لهم ولا مجال لرحمتهم و الإشفاق عليهم، بل تحدد وصايا الربّ شكل الإبادة والتحطيم بكل وحشية وبرودة دم [سفر هوشع 13: 15–16،سفر صموئيل الأول15: 3– 4]. وحتى يتصالح الربّ مع شعبه ويهدأ غضبه يأمر الربّ موس عليه السلام أن يصلب العُصاة عند الشمس، كلما أحرقهم فيحها ولهيبها كلما هدأ وبرد غضب الربّ[سفر العدد 25 : 3 – 4]

"وَعِنْدَمَا تَقْرُبُونَ مِنَ الْحَرْبِ يَتَقَدَّمُ الْكَاهِنُ وَيُخَاطِبُ الشَّعْبَ وَيَقُولُ لَهُمْ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: أَنْتُمْ قَرُبْتُمُ الْيَوْمَ مِنَ الْحَرْبِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ. لاَ تَضْعُفْ قُلُوبُكُمْ. لاَ تَخَافُوا وَلاَ تَرْتَعِدُوا وَلاَ تَرْهَبُوا وُجُوهَهُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ سَائِرٌ مَعَكُمْ لِكَيْ يُحَارِبَ عَنْكُمْ أَعْدَاءَكُمْ لِيُخَلِّصَكُمْ. ثُمَّ يُخَاطِبُ الْعُرَفَاءُ الشَّعْبَ قَائِلِينَ: مَنْ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي بَنَى بَيْتًا جَدِيدًا وَلَمْ يُدَشِّنْهُ؟ لِيَذْهَبْ وَيَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهِ لِئَلاَّ يَمُوتَ فِي الْحَرْبِ فَيُدَشِّنَهُ رَجُلٌ آخَرُ...لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ عَلَيْكَ رَجُلاً أَجْنَبِيًّا لَيْسَ هُوَ أَخَاكَ".[تثنية 17: 15]. والمتمعن في الإصحاح 12 و13 من نفس السفر يجد فيها من نصوص القتل والإبادة ما تتقزز له كل نفس سوية.

4 .1 أثر يوشع على تذكية العنصرية في المخيال اليهودي بمن فيهم الطالب والأستاذ الجامعي:

مما يلاحظه الباحثون في الدراسات التوراتية والتلمودية أن "يشوع" كشخصية بناء على النصوص توراتية دخل بقوة في التفكير اليهودي عموما و الصهيوني الإسرائيلي خصوصا، وتحول إلى ممارسة يومية دفعت إلى تقمص شخصيته العدوانية المعروضة في النصوص، كما حدث من تقمص يشوع لشخصية موسى كما ورد في [سفر يشوع 7:3] :" ٧فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: "الْيَوْمَ أَبْتَدِئُ أُعَظِّمُكَ فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ لِكَيْ يَعْلَمُوا أَنِّي كَمَا كُنْتُ مَعَ مُوسَى أَكُونُ مَعَكَ." فصار "يشوع" نموذجا يحتذى به في إبادة الآخر، أما ضحايا هذا الفعل فهم كالعادة الكنعانيون والفلسطينيون القدامى، الذين استدعت

الصهيونية رموزهم في الخلفية الفكرية، وأسقطتها في الأجواء النفسية ثم التطبيقية العملية، على الفلسطينيين الحاليين، الذين يجب التعامل معهم وفق الصورة النمطية، المحفورة والمسجلة في المخيال اليهودي الفردي والجماعي، أي التعامل مع الفلسطينيين كما تعامل أسلافهم "بنو إسرائيل" مع الأقدمين منهم بالمنهج نفسه، بقطع دابرهم واستئصال شأفتهم بكل وسائل العنف الهمجي المتاحة والممكنة.

إذن هذه النصوص العدوانية تحفر في نفسية متلقيها وتمسحه بمسوحها حتى تصبغ شخصيته بها، حتى لا تكاد تميز بين الزمنين أنحن في الحاضر أم في الماضي؟، وحتى نخرج من دائرة الاتهام إلى دائرة التحقق والإثبات، وكدليل مادي وواقعي على هذا الاستنتاج، نورد نتائج دراسة علمية موثقة من داخل الفكر والمجتمع اليهودي نفسه – وشهد شاهد من أهلها –، فقد قام الباحث اليهودي "جورج تمارين"(Georges Tamarin)، أستاذ علم النفس الاجتماعي في جامعة تل أبيب، بدراسة أجراها على عينة تتكون من ألف (1000) طالب وطالبة من المدارس الثانوية في إسرائيل، لمعرفة تأثير أفعال الإبادة المنسوبة إلى "يشوع" في تفكيرهم. وقد جرت الدراسة بأن طرح "تمارين Tmarin " على الطلبة سؤالين فقط يتصلان بما فعله يشوع –كما تروي التوراة– في كل من" أريحا" و "مكيدة" عندما تغلب يشوع عليهما:

السؤال الأول: هل ترى أن فعل يشوع والإسرائيليين الذين كانوا معه، كان صوابا تجاه سكان "أريحا" و "مكيدة"؟.

أما الثاني فكان: افترض – جدلا– أن الجيش الإسرائيلي افتتح قرية عربية في الحرب، فهل تراه أمرا سيّئا أم صوابا، أن يتصرف الجيش مع سكان هذه القرية كما فعل "يشوع" بالنسبة إلى سكان "أريحا" و"مكيدة"؟.

كانت الإجابة أن ثمانين في المئة (80 %)من الطلاب الذين سُئلوا وافقوا على صواب ما فعله يشوع، بينما كانت إجابة ثمانية وثلاثين في المئة(38 %) منهم، أنّ على الجيش الإسرائيلي أن يفعل بالقرية العربية المفترضة ما فعله "يشوع" بأريحا ومكيدة.

أذهلت النتائج "تمارين Tmarin" نفسه فكتب معلقا عليها: " إن تدريس " الكتاب" بطريقة غير نقدية لطلاب هذا العمر المبكر، حتى ولو لم يكن يُدَرَس بشكل واضح على أنه نص مقدس بل على أنه تاريخ قومي، يؤثر بلا شك تأثيرا عميقا في تكوين توجهات إلحاق الأذى "بالآخرين"...حتى الطلاب غير المتدينين، وفي تأكيد الصورة السلبية المعادية للأجانب." (سخنيني: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، 2012، ص 56)

بعد إبراز نتائج هذه الدراسة وانتقاد "تمارين Tmarin" للنظام الدراسي في إسرائل، شرب من كأس العنصرية نفسه، فحوصر وتعرض للمضايقة الشديدة، أفضت إلى خسران منصبه ووظيفته كأستاذ في جامعة تل أبيب، وكانت ردّة فعله على هذا الإجراء أن كتب إلى مجلس الجامعة،" أنه على الرغم من أنه نهج في دراسته منهجا علميا لا غبار عليه، فإنه لم يحلم قط بأن يكون هو الآخر من ضحايا فتح "يشوع"

لأريحا (سخنيني: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، 2012، ص 57)

وعلى ذات الصورة العنصرية، فالدارس لبعض الأسماء في النصوص التوراتية والتلمودية يجد لها صدى عجيبا في النفسية والعقلية الصهيونية واليهودية، ومن هذه الأسماء اسمين مهمين تحولا إلى رمزين الأكثر شيوعا في منظومة الفكر الإبادي الصهيوني وهما "الكنعانيون والفلسطينيون القدامى"، فبمجرد ذكرهما تُستفَز الذاكرة التاريخية، وتُستَحضَر أسطورة عماليق "الكتابية"، التي كثيرا ما تتردد على ألسنة الصهيونيين وأقلامهم، كنموذج لما ينبغي التعامل به مع العرب الفلسطينيين وامتد هذا المصطلح ليشمل كل العرب .

لقد لعن الربّ عماليق، وأمر موسى باجتثاث ذكرهم من على الأرض، وذلك لأنهم قَاوَموا ، وتعرضوا لموسى في رحلته من مصر إلى أرض كنعان، كما تروي نصوص العهد القديم:" ١٧اُذْكُرْ مَا فَعَلَهُ بِكَ عَمَالِيقُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِكَ مِنْ مِصْرَ. ١٨كَيْفَ لاَقَاكَ فِي الطَّرِيقِ وَقَطَعَ مِنْ مُؤَخَّرِكَ كُلَّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَرَاءَكَ، وَأَنْتَ كَلِيلٌ وَمُتْعَبٌ، وَلَمْ يَخَفِ اللهَ. ١٩فَمَتَى أَرَاحَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِكَ حَوْلَكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا، تَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لاَ تَنْسَ."[سفر التثنية 25:19–17] ،ولفظ "لاَ تَنْسَ "يُلزم موسى بحفظ معنى الإبادة في الأجيال المقبلة ولذا أكد كاتب النص التوراتي على موسى هذا المعنى في نص آخر بأن أمره يهوه أن يسجل في كتاب تذكاري (مذكراته) أنه سيحارب عماليق من جيل إلى جيل، فقد ورد في[سفر الخروج 17:–16 14]:"١٤فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "اكْتُبْ هذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ، وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ". ١٥فَبَنَى مُوسَى مَذْبَحًا وَدَعَا اسْمَهُ "يَهْوَهْ نِسِّي". ١٦وَقَالَ: "إِنَّ الْيَدَ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّ. لِلرَّبِّ حَرْبٌ مَعَ عَمَالِيقَ مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ".

وتمتد لعنة عماليق في الزمان والمكان، ويتجدد التواصي بقتلهم كما حدث بين صموئيل وشاؤل، فقد ورد في[سفر صموئيل الأول15:1–3]:" ١وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: "إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ. ٢هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. ٣فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا".

و السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا التشديد على عماليق بهذه الصورة دون سواهم؟، ما السرّ وراء هذا الإلحاح، ألا يُخفي شيئا ما ؟.

ويأتي الجواب مرة أخرى من داخل الفكر اليهودي نفسه، ليؤكد أن صورة عماليق، المطلوب إبادته، في العهد القديم، أصبحت نموذجا كلاسيكيّا للآخر المغاير، وهذا وفق ما صرح به "جيرالد كرومر"، أستاذ علم الجريمة في جامعة "بار إيلان" الإسرائيلية، إذ يقول: "فعلى مدى أزمان عديدة، ذهب علماء الدين اليهود إلى أبعد مدى في إظهار فسق "عماليق" وفسادهم. ونتيجة لذلك فقد عُدَّ عماليق ذروة الشرّ في

التقاليد اليهودية. في موازاة ذلك، استخدم الحاخامون والناس العاديون على السواء، مصطلح "عماليق"، ليدلُّوا به على الشعوب والمجموعات الأخرى، التي يُزعم أنها تتهدد وجود الشعب اليهودي. وهكذا فإن "عماليق" هو "الآخر المغاير" الرئيس الذي يجب سحقه.(سخنيني: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، 2012، ص 58–59).

أيُنزل الله كتابا من لدنه يأمر فيه بمثل ما مرّ معنا ؟، إن الله يأمر بالرحمة والتسامح وعدم أكل أموال الناس بالباطل، ويأمر بالعدل والإحسان وصلة الأرحام، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، ويأمر بالوفاء بالعهود والعقود، قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91).[سورة النحل:90–91].

أما المنظومة اليهودية خاصة في صورتها الحالية متمثلة في الصهيونية وإسرائيل المعاصرة، فإن العرب عامة والفلسطينيين خاصة، هم عماليق الزمن الحديث. وهذا ما يؤكده مُنَظرُوا المشروع الصهيوني وحاخاماتهم ومن هؤلاء الحاخام "يسرائيل هس"(Yisrael Hess)، حاخام جامعة "بار إيلان" الإسرائيلية، الذي كتب مقالا خطيرا في الصحيفة الطلابية التي تصدرها الجامعة " بات كول "(Bat Kol) في عدد فبراير 1980 بعنوان: "الأمر بإبادة الجنس في التوراة"، قال فيه:" ليس بعيدا ذلك اليوم الذي سوف نُدعَى فيه إلى حرب مقدسة، وإلى هذا الأمر (من يهوه) باجتثاث عماليق. إن الله لا يقتنع فقط باجتثاث عماليق، وبمحو ذكره، بل هو يجند نفسه شخصيا في ذلك، إذ هو – كما قد قيل– لديه مصلحة في هذه المسألة، وذلك هو الهدف الرئيس."(سخنيني: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، 2012، ص 60).

الناظر لهذا التصريح يبقى مندهشا كيف يأمر الربّ باجتثاث عماليق العرب عامة والفلسطينيين خاصة، بكل هذه الوحشية، بل هو يجنِّد نفسه شخصيا، ولديه مصلحة في ذلك، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.لذا علق باندهاش وحيرة "أمون روبنشتاين" (Ammon Rubinstein) أستاذ القانون في جامعة تل أبيب، على ماكتبه الحخام هس بقوله:"إن الحاخام هس يفسر الأمر(أمر يهوه) الذي يأمر بمحو ذكر عماليق، ويقول إنه لا توجد أدنى رحمة في هذا الأمر، الذي يوجب حتى قتل أطفال عماليق والرضع منهم، فعماليق هم كل من يعلن الحرب على شعب الله." ويعلق على المقال باندهاش: "إن هذا المقال الذي كتبه الحاخام هس لم يجد أدنى اعتراض عليه، لا من جانب الجامعة نفسها، ولا من جانب هيئة تحرير المجلة، ولا من الطلاب أنفسهم، وتلك إشارة ضمنية إلى موافقة هذه الأطراف الثلاثة على ما كتبه الحاخام."

أمام هذه الفتاوى والشروحات لا يبقى لأمر الربّ "لا تقتل" في الوصايا العشر أي معنى، وهذا ما شرحه الحاخامات أنفسهم، فقد شرح الرابي" موسى بن ميمون" في شرائع القتل " فقال: "حري بنا أن نشرح أن مقولة "لا تقتل" يقصد بها فحسب اليهودي الذي قتل يهوديا آخر، وليس اليهودي الذي قتل غير

اليهودي، حتى ولو كان غير اليهودي من الأتقياء. في الوقت الذي أكد فيه الرابي "إليعيزر مميتس" في كتابه "يرائيم" أن قتل غير اليهودي ليس ضمن المعاني المقصودة في مقولة "لا تقتل".(يتسحاق شابيرا و يوسيف إليتسور :شريعة الملك (شريعة قتل الأغيار)،2011، ص 28)

ويوضح بعض الباحثين الخطوات العملية التي خطط لها منظروا الصهيونية، للوصول إلى مرحلة إبادة عماليق الحاضر(الفلسطينيين)، يصف" أوريئيل طال" (Uriel Tall) أستاذ الدراسات الكتابية في جامعة تل أبيب، في محاضرة له ألقاها في الجامعة في مارس 1984، أفكار الصهيونية ومن سار في فلكها في الترويج لكيفية التعامل مع الفلسطينيين في المناطق المحتلة بحيث تتخذ ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: إخضاع الفلسطينيين في القدس والضفة الغربية لأحكام الشريعة اليهودية بأن يكون لهم وضع "الأجنبي المقيم".

المرحلة الثانية: الدفع في اتجاه تهجير العرب وترحيلهم.

والمرحلة الثالثة: تنفيذ الأمر المتعلق بعماليق كما عبر عنه الحاخام هس في مقاله "الأمر بإبادة الجنس في التوراة"، وبكلمات أخرى، استئصال العرب الفلسطينيين.(سخنيني: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، 2012، ص 61).

لذا في مارس 2007 صرح عضو الكنيست عن الحزب الوطني الديني "زفولون أوريف"(Zevulun Oriev) في مقال نشر له في كتيّب تحت عنوان:" من الذي سيقتل عماليق هذا الجيل.؟"، حيث كان يوزع كل سبت على جميع الأديرة اليهودية في إسرائيل، ذكر فيه قائمة اسمية لشخصيات فلسطينية وعربية وإسلامية، سماهم عماليق هذا العصر، والذين يجب أن يُنفذ فيهم حكم عماليق أي الإبادة. كما بين موقفه من كل محادثات السلام بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي قائلا: "إننا لن نتفاوض مع عماليق، ولن تكون هناك اتفاقيات، ولا حلول سياسية، فإن الأمر المقدس بأن نتذكر[ما فعله عماليق] يتطلب إبادة ذكر عماليق بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة."(المرجع السابق).

أن الدارس للعنصرية في التلمود يبقى مندهشا ومصدوما لوقع ما يقرأ ويسمع، ويجد نصوصه أخطر من التي في الكتاب المقدس، بل الناظر إلى واقع اليهود يرى بوضوح مدى تأثرهم بهذه التعاليم، وتشكيلها للنفسية والعقلية اليهودية، والتي تُرجمت إلى سلوك واقعي مليء بالعقد والتناقض، والنصوص التالية تبين ذلك.

قال د . (جوزيف باركلي) أحد الباحثين في التلمود : "وبعض أقوال التلمود مُبالغ فيه وبعضها كريه ، وبعضها الآخر كفر ، ولكنها تشكّل في صورتها المخلوطة أثراً غير عادي للجهد الإنساني وللعقل الإنساني وللحماقة الإنسانية "(خالد عبد الواحد: "نهاية إسرائيل والولايات المتّحدة الأمريكيّة .الفصل السادس من المقدمة منشور على الانترنت سنة 2001) .

يقول حنا مسعد:" للمسيحي إنجيله يبشّر به العالم، وللمسلم قرآنه ينشره بين جميع الشعوب، أما الإسرائيلي فله كتابان : كتاب معروف وهو التوراة لا يعمل به، والآخر مجهول لا يعرفه العالم وهو

التلمود ، يفضّله على الأول ويدرسه خفية ، وهو أساس كل مصيبة، والنصارى يؤمنون بأن الله هو أبو الجميع، والمسلمين يعترفون بأن الله رب العالمين، أما الصهيونيون يريدون أن يكون الإله لهم وحدهم زد على ذلك، أن التلمود ينصّ على أن جميع خيرات الأرض ملك لبني إسرائيل، وأن النصارى والمسلمين وعبدة الأوثان خلقوا عبيدا لهم"(حنا مسعد: همجية التعاليم الصهيونية ، 1983،ص 106.).

ونظرة التلمود لكافة البشر هي:

المخلوقات نوعان؛ علوي وسفلي، العالم يسكنه سبعون شعبا بسبعين لغة وإسرائيل صفوة المخلوقات، واختارها الله لكي تكون لها السيادة العليا على بني البشر جميعا سيادة الإنسان على الحيوان المُدجّن، إن نفوس اليهود منعّم عليها بأن تكون جزءا من الله، فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه، وهذا السبب يجعل نفس اليهودي أكثر قبولا عند الله وأعظم شأنا عند الله من نفوس سائر الشعوب، لأن هؤلاء تُشتقّ نفوسهم من الشيطان وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد.(شوقي عبد الناصر: بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود، 2000، ص 31–34. وكذا حنا مسعد: همجية التعاليم الصهيونية، 1983،ص 54).

ولهذا يقول التلمود: أن زرع (نطفة) الرجل غير اليهودي هي زرع حيواني، وزرع الأغراب كزرع الحصان، وإن غير اليهود كلاب عند اليهود، وإن غير اليهودي لا يختلف بشيء عن الخنزير البري، وإن بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات، وقد كُتب على شعوب الأرض لحومكم من لحوم الحمير وزرعكم من زرع الحيوانات، ولو أن الله يكتب التلمود برمته على الورق لما وسعته الارض صحفا مكتوبة. فالفرق بين الانسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي الشعوب، الاسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة فإذا ضرب أممي اسرائيليا فكأنه ضرب العزة الالهية ويستحق الموت.((شوقي عبد الناصر: بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود، 2000، ص35).

ولذا فتعاليم التلمود تؤكد كما أن ربّة البيت تعيش من خيرات زوجها، هكذا أبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم دون أن يتحمّلوا عناء العمل.(كامل سعفان : اليهود تاريخ وعقيدة ، 1988،ص 201–209).

خاتمة:

هذه التربية الصِّهيونية هي التي أنتجت "إسحاق رابين" و قاتله "إيجال عامير"، الذي لم يكن عربيدا ولا مجنونا ، فهو ابن حاخام ، وطالب ممتاز في الجامعة الإكليركية "بأرعيلان" بالقرب من " تل أبيب"، وتشبع بتعاليم المدارس التلمودية، وجندي من جنود الصفوة في الجولان، ويحتفظ في مكتبته بسيرة "باروخ جولدشتين" الذي اغتال في الخليل 27 من العرب وهم يصلون! وهو المتأثر بجماعة "إيال" (محاربو إسرائيل)، التي بث التليفزيون الرسمي الإسرائيلي العرض الكبير الخاص بهم ، وهم يحلفون على قبر مؤسس الصهيونية السياسية: "تيودور هرتزل": بأن "يعدموا أي شخص يفرط للعرب في أرض الميعاد في يهودا وسامرا"، (الضفة الغربية) حاليًّا. علما أن هذا الاغتيال ، والاغتيالات التي اقترفها جولدشتين يندرج

ضمن المنطق الضيق لمثيولوجية المتطرفين الصهيونيين، وكما يقول عامير: "إن الأمر بالقتل جاءه من الرب كما كان يحدث في عهد يشوع" (جريدة "لوموند Le Monde"،08 نوفمبر 1995).

هذا الذي حَدَث ويحدث من "صبرا و شاتيلا "، إلى "تل الزعتر" و "دير ياسين "، ومن "جنين" إلى "غزة"، والدارس لتاريخ الإجرام اليهودي يجده مسلسلا طويلا للرعب، ترك بصماته في كل شبر من أرض فلسطين، جراء تراكمات عقد الشخصية اليهودية، التي صاغتها نصوص التوراة والتلمود وشكلتها بأخلاق العنصرية، وكره الآخر الألتيرفوبيا (Alterophobie)، وغيرها من العقد التي تراكمت عبر العصور، حتى أضحت ظلمات بعضها فوق بعض، تحتاج إلى إنسان آخر من طينة أخرى حتى يتفهمها، أو يصبر عليها. فكيف يحسن غيرهم الظن فيهم فيأمنوهم، أم كيف يحسنون هم الظن بغيرهم فيعاشروهم معاشرة إنسانية مفعمة بالودّ والحوار وبلا عُقد.؟

قائمة المراجع:

أولا- المراجع باللغة العربية:

-إسماعيل راجي الفاروقي.(1988):الملل المعاصرة في الدين اليهودي، دار التضامن للطباعة،القاهرة، ط 2.

-عبد الوهاب المسيري.(1999) : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق: بيروت-القاهرة 1999.

-عبد الوهاب المسيري.(2002): الجماعات الوظيفية اليهودية نموذج تفسيري جديد، دار الشروق- القاهرة، الطبعة الثانية، سبتمبر

-رشاد عبد الله الشامي.(1986): الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 102،يونيو.

-يوسف أيوب حداد.(2004).: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، يناير، ج1.

-الأب بولس حنا مسعد.(1983).: همجية التعاليم الصهيونية،المكتب الإسلامي ، بيروت، ط2 .

-سناء عبد اللطيف حسين صبري.(1999): الجيتو اليهودي دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، دار القلم -دمشق.

-عبد الفتاح محمد ماضى.(1999): الدين والسياسة في إسرائيل، مكتبة مدبولي، القاهرة.

-صابر طعيمة.(1990): بنو اسرائيل في ميزان القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، لبنان.

-أحمد شلبي.1967): مقارنة الأديان- اليهودية،مكتبة النهضة المصرية،ط2.

-باولو فرايري.(1980): تعليم المقهورين، دارالقلم، بيروت- لبنان.

-إبراهيم خليل أحمد.(1969): إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة ، مكتبة الوعي العربي.

الشرقاوي عبد الله.(1993).: الكنز المرصود في فضائح التلمود، دار عمران، بيروت.

-محمد خليفة حسن.(1981):الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقاتها بالتراث الديني اليهودي، دارالمعارف-القاهرة.

-عصام سخنيني.(2012): الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، أغسطس.

-الحاخام يتسحاق شابيرا والحاخام يوسيف إليتسور.(2011):شريعة الملك (شريعة قتل الأغيار)،ترجمة وإعداد محمود مندور وخالد سعيد،مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

-شوقي عبد الناصر.(2000): بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع .

-كامل سعفان.(1988): اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

-خالد عبد الواحد.(2001): "نهاية إسرائيل والولايات المتّحدة الأمريكيّة. الفصل السادس من المقدمة منشور على الانترنت، على الرابط التالي www .go .ae/kalwid

ثانيا – المراجع باللغة الأجنبية:

-F.Lovsky.(1953): Antisémitisme et Mystere D'Israel,Edition Alibun Michel,Paris,

3Léon Poliakov, Les Banquiers juifs et le Saint-Siège : du XIIIe au XVIIe siècle, - Paris, Calmann Levy, 2014 (rééd.), chap. XI (« Les Juifs et l'évolution des sensibilités chrétiennes (Rome)

-Kenneth Bancroft Clark, Dark ghetto.(1989) : dilemmas of social power, Wesleyan University Press,